المصطلحات اللغوية والنحوية

- مسيرة عبر التاريخ -

أ/ابن حمو محمد
أستاذ اللغة العربية ورئيس المجلس العلمي
بالمعهد العالي للشريعة - بأدرار

1- تمهيد :

موضوع هذه المحاضرة هو نشأة المصطلحات النحوية واللغوية في العربية وتطورها منذ الخليل وسيبويه وغيرهما. لقد صرف هؤلاء العلماء جهودهم في تثبيت هذه المصطلحات التي ما فتئت تتطور وتقوى .

إن المصطلح استعارة للكلمة ونقلُها من حدودها اللغوية إلى حيّز جديد ودلالة جديدة. وهناك علاقة بين المعنى الإصطلاحي والمعنى اللغوي سهلت هذا النقل .

إن الحاجة إلى المصطلح العلمي قائمةٌ في كل لغة. وهي أبدا مطلوبةٌ ملتمسةٌ كلما حدث جديد في العلوم أو الفنون. ولا ينقطع الجديد ما دام الفكر الإنساني نشطا عاملا، ولذلك كان لكل علم أو فن مصطلح خاص. وإذا كان العلم متطورا حافلا بالجديد في كل عصر كان على المختصين أن يهيئوا الأدوات اللغوية اللازمة للتعبير عن هذا الجديد. [1]

والمصطلح العلمي إما ينشأ نشأة أصيلة يولد ويترعرع في بيئته، وإما أن يُنقل من لغة أخرى. وفي هذه الحالة ليس هناك من عيب أو قصور لأن الأخذ والعطاء سنةٌ من سنن الحياة اللغوية لا تشذ عنها إلا لغات معزولة لم تساير ركب الحضارة فبقيت على نقائها وفقرها. وما أصدق ما قيل: " Apure language is a poor language " .

أي : أن لغة لم تشبها شوائب الدخيل لهي لغةٌ جد فقيرة. [2]

إن اللغات العظيمة التي أثرت في الآداب العالمية وصار لها شأن بين لغات العالم هي تلك اللغات التي فتحت صدرها لغيرها فأمدّت وأخذت. فاللغويون ينظر بعضهم إلى بعض والأدباء كذلك، وهو ما لاحظه مُنظرو الأدب المقارن الذي يكشف عن تأثر الكتاب في الأدب القوي بالآداب العالمية. وما أغزر جوانب هذا التأثر، وما أعمق معناها لدى كبار الكتاب في كل دولة. وهذا ما عبّر عنه الناقد الفرنسي ڤيلمان Villemain في محاضراته في السوربون عام 1828 بأنه : «السرقات الأدبية الأبدية التي تتبادلها كل الدول». [3] ويقول الفيلسوف دالمبير (1717-1883): «على كل الأمم المستنيرة أن تُعطي وتأخذ».[4]

وكذلك كان شأن لغة العرب، أثرت في اللغات الإنسانية وتأثرت بها، ومن زعم أنها بصيغها وأنواع اشتقاقها وحدها أعربت عن خصائصها الذاتية، وأنها إن أدخلت على نفسها بالتعريب مصطلحات الحضارة شوّهت محاسنها وفقدت خصائصها وأنكرت نفسها بنفسها، فليس يريد لهذه العربية إلا الموت، وليس يعيش بعربيته إلا في بروج من العاج بناها له خيال سقيم !. [5]

2- اللغة العربية في الجاهلية :

إن العربية - عبر مراحل حياتها - استطاعت أن تحافظ على مكانتها العالمية فتأثرت باللغات المجاورة فأخذت عنها ألفاظا وأثرت في تلك اللغات وأمدّتْها بكلمات كثيرة تشهد بها معاجم تلك اللغات. فمنذ الجاهلية دخل على اللغة العربية كلمات أعجمية لمسميات لم تكن عند العرب ثم طرأت عليهم فأخذوها بأسمائها. غير أن اللسان العربي استطاع أن يصقل هذه الألفاظ الأعجمية حتى أصبح بعضها وكأنه عربي خالص : من هذه الألفاظ : قرطاس، درهم، دينار، سجل، برنس، كرسي، دمقس، استبرق، قصر. وهذه الكلمات الأعجمية دخلت في الشعر الجاهلي، وبعضها ورد في القرآن الكريم. [6]

وهذا شأن القوي الواثق من قوّته وقدرته، لا يخشى مخالطة الآخرين ومصارعتهم، ومنافستهم، بل يرى في ذلك رصيدا جديدا يُضاف إليه .

ففي الجاهلية عُرِّب عن الفارسية مثل الدولاب، والدسكرة، والكعك، والسيمد، والجَلُنّار، وعن الهندية أو السنسكريتية مثل الفلفل، والجاموس، والشطرنج، والصندل، وعن اليونان مثل القبان، والقنطار، والترياق. (7)

قال الأعشى :

ومُسْتَجيب لصوتِ الصَّنْجِ تَسْمَعَه * إذا تُرجِّع فيه القَيْنَة الفَضَل (8)

الصنجة : الميزان مُعَرَّب (عن مختار الصحاح) .

ويقول ابن قتيبة :

وكان الأعشى يفد على ملوك فارس، ولذلك كثُرت الفارسية في شعره، كقوله :

فلأشرِ بن ثمانيا وثمانيا * وثمانَ عشْرَة واثنين وأربعًا
من قهوة باتَتْ بِغارِسَ صَفْوةٍ * تَدَعُ الفتَى ملكاً يميلُ مُصَرَّعَا
بالجُلْسَانِ وطَيِّب أرْدانَهَ * بالْوَنٍّ يَضْرِبُ لي يَكُفُّ الأصْبَعَا
والنَّايَ نُرْمٍ وبَرْبَطٍ ذي لجة * والصَّنْجُ يَبْكي شَجْوَهُ أن يُوضعَا (9)

ويقول الأعشى :

ومُدامةٍ مِمَّا تُعَتِّقُ بَابِلٌ * كَدَمِ الذَّبِيحِ، سَلَبْتَها جِرْيَالَها

الجريال : اللون (10)

وكذلك كان أمية بن أبي الصلت في أشعاره يأتي بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب، يأخذها من الكتب المتقدمة، وبأحاديث من أحاديث أهل الكتاب، منها قوله :

بآيةٍ قامَ ينطق كلَّ شيءٍ * وخان أمانةَ الديكِ الغُرابُ (11)

ومنها قوله :

« قَمَرٌ وساهور يُسَلُّ ويُغْمَد »

والساهور يذكر أهل الكتاب غلاف القمر يدخل فيه إذا كُسِفَ. (12)

ويقول في اللّه عز وجل :

هو السُّلْطَلِيطَ فوق الأرضِ مقتدر. [13]

3- أثر الإسلام في اللغة العربية :

إن للإسلام فضلاً كبيراً على العربي وعلى شؤون حياتهم المختلفة وبخاصة لغتهم التي هي رمز تشخصيتهم ومأوى أفكارهم.

وتفطن الناس منذ الصحابة إلى قيمة الشعر الجاهلي في تفسير ألفاظ القرآن الكريم. والقرآن - هو كتاب اللّه الخالد - رَقّى هذه اللغة وجعل علمها من الدين، إذ من غيرها لا يمكن الولوج إلى أعماقه. وأول من فسر القرآن باللغة هو ابن عباس. ويقول سعيد بن جبير ويوسف بن مهران : « سمعنا ابن عباس يُسأل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا وكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا. [14]

وأشهر ما وصل عن ابن عباس في هذا المنهج ما عُرف بسؤالات نافع بن الأزرق ونجدة بن عُويمر، حيث قصداه في المسجد الحرام وسألاه عن كلمات في القرآن. فقالا : يا ابن عباس أخبرنا عن قول اللّه عز وجل : «**عن اليمين وعن الشمال عزين**»، [15] قال : عزين : حلَق الرفاق. قالا : وهل تعرف العربُ ذلك ؟ قال : نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يُهرعون إليه حتى * يكونوا حول منبَره عزينا [16]

والمسألة هنا في غاية الدّقة، وقد يوصل الخطأ في حركة أو إعراب إلى اللّبس في المعنى أو إلى تحريم الحلال أو حِل الحرام، وقد جاء في عيون الأخبار لابن قتيبة، أن أعرابيا سمع إماماً يقرأ « ولا تَنكحوا المشركين حتّى يُؤمِنُوا، [بفتح تاء تنكحوا] فقال : سبحان اللّه ! هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده ! فقيل له : إنه لحن، والقراءة (ولا تُنكحوا) [بضم التاء] فقال : قبَّحَهُ اللّه، **لاتجعلوه بعدها** إماماً فإنه يَحل ما حرّم اللّه. [17]

ورُبط القرآن باللغة حتى قيل : « لا يُقرئ القرآن إلا عالمٌ بالعربية ».

وأصبح البدو الأجلاف - الذين كانوا محل سخرية أهل الحضر ومزاحِهم ذوي منزلة عالية لدى طُلاب العربية، ولاسيما بعد تَفشي اللحن واختلاط العرب الأعاجم. ورجع إليهم العلماء في تأسيس المدارس النحوية. فاللغويون الأوائل - وجلهم من القراء النحاة - هم الرواة الذين رحلوا إلى البادية، فابن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117) وتلميذاه عيسى بن عمر (149) وأبو عمرو بن العلاء (154) وتلميذا عيسى الخليل بن أحمد (175) ويونس (182) وتلميذا أبي عمرو بن العلاء أبو زيد الأنصاري (215) والنضر بن شميل (203) وغيرُهم من البصريين والكسائي (189) وتلميذه الفراء (207) وأبو عمرو الشيباني (206) وابن الأعرابي (231) وغيرُهم من الكوفيين كلهم رحلوا إلى البادية وأقاموا فيها. (18)

وأُبعد أهل الحضر من الإستشهاد في اللغة لأن الفساد انتشر في لسانهم، وأبعد كذلك سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ من لخم ولا جذام، لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاعة، وغسان، وإياد، لمجاورتهم أهلَ الشام، ولا من تغلبَ واليمن، ولا من بكر...إلخ. (19)

هذه الدراسات العميقة والتنقل العلمي الجاد والعمل المصحوب بالإخلاص قد أتاح للغة القرآن من الظروف والعوامل ماوسع من طرائق استعمالها، وأساليب اشتقاقها، وتنوع لهجاتها، فانطوت من هذا كله على محصول لغوي، لا نظير له في لغات العالم. (20)

كما دخلت ألفاظ جديدة قوّت رصيد اللغة كـ (الصلاة)، و(الزكاة)، و(الصوم)، و(الجهاد)، و(الصدقة)، و(الفرض)، و(السنة)، و(الحديث)، و(النافلة) وغير هذا يدخل في باب "الألفاظ الإسلامية" ومعنى ذلك أنها دلّت دلالات جديدة في هذه الفترة التاريخية. (21)

ونزول القرآن باللسان العربي لا ينفي وجودَ ألفاظ غير عربية، وقد ورد في القرآن كثير من مُعرَّبات الجاهلية حتى قال ابن جرير : «في القرآن من كل لسان» . ولقد ذكر السيوطي في "المتوكلى" نماذج مما ورد في القرآن بالرومية والفارسية والهندية والسريانية والحبشية والنبطية والعبرية حتى التركية.[22]

ويلخص صبحي الصالح هذه المسألة بقوله :

«إن الإسلام صادف - حين ظهوره - لغة مثالية مصطفاة موحدة جديرة أن تكون أداة للتعبير عند خاصة العرب لا عامتهم، فزاد من شمول تلك الوحدة وقوّى من أثرها بنزول قرآنه بلسان عربي مبين هو ذلك اللسان المثالي المصطفى، وكان تحديه لخاصة العرب وبلغائهم أن يأتوا بمثله أو بآية من مثله أدعى إلى تثبيت تلك الوحدة اللغوية، على حينَ دعا العامة إلى تدبر آياته وفقهها وفهمها، وأعانهم على ذلك بالتوسعة في القراءات، ومراعاة اللهجات، في أحرفه السبعة المشهورة». [23]

والقرآن بدعوته المسلمين إلى الضرب في الأرض والسياحة ونشر الإسلام ساعد في تقوية العربية، فكان من نتائج الفتوحات السريعة أن العربية لم تبق لغة العرب وحدهم، وإنما أصبحت لغة البلدان المفتوحة، وقد كان لمخالطة الشعوب المغلوبة التي بدأت تتكلم اللغة العربية وتلحن في كلامها، أثرٌ في العرب أنفسهم. فقد أهملوا إعراب الكلام، واستعملوا الكلمات بمعانٍ منحرفة عن معانيها، واستعاروا من الشعوب المغلوبة من أهل الشام، ومن الفرس، ومن الأقباط، والبربر، والإسبان، والأتراك كثيراً من الألفاظ والعبارات. [24]

4- المدارس النحوية والمصطلح :

وبلغت العربية مرحلة الكمال والنضج في العصر العباسي، وذلك للتطور الحضاري الكبير الذي عرفته الحياة العربية آنذاك، فالبيئة العباسية بما وجد فيها من مظاهر الحضارة المادية ومن أوجه الثقافة الأجنبية خاصة وبما حدث

فيها من جوانب الحياة الاجتماعية اقتضت ألفاظاً جديدة للتعبير عن تلك المظاهر والأوجه والجوانب. وقد تجلت العبقرية اللغوية في العرب عن ثلاثة أنواع من الألفاظ : الألفاظ المولدة وهي صيغ مشتقة من جذور عربية نحوُ "تلاشى" أي "اضْمَحَلَّ" ، و"استأهل" بمعنى "استحق" ، و "الإيقاع" بمعنى الضرب على الدف، وكذلك لفظة "أدب" الدالة على الإنتاج الراقي من الشعر والنثر. ثم حدث في البيئة العباسية مظاهرُ ومعانٍ لم يجد العرب لها في لغتهم ألفاظاً تؤديها من قُرب أو من بُعد فعرّبوا ألفاظها الأجنبية، نحوُ "أنذزاه" الفارسية فإنها أصبحت هندسة و "كليما" اليونانية فإنها أصبحت إقليم. وبقى عدد من الكلمات لم يمكن تعريبها فظلت مدة على لفظها الأجنبي، نحو "أباذميا" و"اسطقس" و "اسطرونوميا" ثم أُوجدت لها ألفاظاً عربية هي "الوباء، العنصر، والهيئة أو الفلك". [25]

ثم بقي ألفاظ لم يجد العرب حاجة إلى تعريبها أو لم يتأتَّ لهم تعريبها نحو قانون، جغرافية، أَسْطُرُلاَب، كاغد، ... إلخ. وهذه كلها تُسمى الألفاظ الدخيلة لأن العجمة ظلت ظاهرة عليها. [26]

ونشطت الدراسات النحوية في هذه الفترة، وقد وضع الخليل (ت175) في النحو بعض المصطلحات المختصرة والمحددة، وقد نقل الخوارزمي بعض هذه المصطلحات وشَرَحَها مثل : الرفع والنصب، والخفض والضم والفتح، والكسر والجر، والتوجيه، والحشو، والنجر، والإشمام، والقعر، والتفخيم، والإرسال، والتيسير، والإضجاع، والجزم، والتسكين، والتوقيف، والإمالة، والنبرة. [27]

وواصل إمام النحاة سيبويه (ت 188) مسيرة شيخه، إذ صرف جهده في البداية إلى تثبيت المصطلحات التي وضعها الخليل، ثم أخذ يضع مصطلحات أخرى جديدة. [28]

ولما كان الدرس النحوي في بدايته، فقد اضطرب أمر المصطلحات التي استعملها سيبويه، فقد أُهمل بعضها وحل محله غيرُه، وبقي بعضها قيد الاستعمال حتى الآن، ومن المصطلحات التي اندثرت وحل محلَها في

الاستعمال غيرها "مجاري أواخر الكلم" وهي التي اصطُلِح الآن على تسميتها "أنواع الإعراب والبناء" و "الحشو" وقد اصطلح على تسميته فيما بعد "الصلة" و "الحروف التي للأمر والنهي وليست بفعل" ويطلق عليها الآن "أسماء الأفعال" و "البيان" المعروف الآن بفَك الادغام. (29)

والأمر - عندما يكون في بدايته - لا يخلو من صعوبة في الوصول إلى الدقة، وهذا ما حدث لسيبويه حيث نجده في الكتاب يردد أحيانا أكثر من مصطلح واحد في الأمر الواحد، فقد أطلق مثلا مصطلح التحقير ومصطلح التصغير على شيء واحد، فعاش المصطلح الثاني ومات الأول أو كاد. (30)

وفي غياب المصطلح كان سيبويه يلجأ إلى التعريفات أو التفسيرات التي يكون فيها ما يوصف به المراد وتستبين به خصائصه التي تدل عليه وتُمَيِّزه من سواه، وذلك كقوله : «هذا باب الفَاعِلَيْن والمفعولَيْن اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به وما كان نحو ذلك» (31) وهو ما اصطلح على تسميته فيما بعد وإلى الآن بـ"التنازع". (32)

وكقوله «باب من الفعل يُستعمل في الإسم ثم تُبدل مكان ذلك الإسم اسماً آخر فيعملُ فيه كما عمل في الأول». (33)

وهو ما نعرفه باسم البدل. (34)

وكان الصراع على أشده بين البصرة والكوفة، فحاول كل فريق أن يبرز في ميدان النحو ومصطلحاته وتخريجاته، فلا عجب إذا رأينا فُروقا عديدة بين المدرستين. فهناك مصطلحات اختص بها البصريون دون سواهم، ومنها المضارع والأمر واسم الفاعل واسم الفعل الماضي واسم الفعل المضارع واسم فعل الأمر والمفعول به والمفعول المطلق والمفعول معه والمفعول لأجله والمفعول فيه، وضمير الفصل وهو الضمير الداخل بين المبتدأ والخبر مثل زيد هو العاقل وضمير الشأن أو القصة أو الحديث وهو ما لم يتقدمه في الذكر ما يعود عليه كالضمير الوارد في قوله تعالى : «**قل هو الله أحد**» وحروف الزيادة أو حروف

الإلغاء مثل إنْ وأنْ وما ولا ومِنْ والباء، والادِّغام (بالتشديد)، واسم الإشارة "هذا" الذي لا يعمل عملَ كان نحوُ "هذا زيدٌ قائماً"، [35] والنفي ولا النافية للجنس، والظرف، والتمييز، والبدل، والصفة أو الوصف، وحروف الجر، والعطف بالحروف، و واو المعية، والحشو وهو مايقع بعد الإسم الموصول، والتوكيد، والإسم الجامد، وهمزة القطع، وهمزة الوصل، وتاء التأنيث. [36]

وأما الكوفيون - وهم المنافسون لنحاة البصرة - فقد اختصوا بمصطلحات لم يستعملها البصريون. فالفراء - وهو كوفي - استعمل "الفعل الدائم" وهو ما سماه البصريون "اسم الفاعل" و "ما يجرى وما لا يجرى" مقابل "ما ينصرف ومالا ينصرف" و "الخالفة" وهو "اسم الفاعل". [37]

والذي دعا الكوفيين إلى الاجتهاد في شق طريق خاص قد يكون الخوفَ من أن تنماع شخصيتهم في البصريين إن لم يكن لهم نحوٌ خاص، وبينهما ما بينهما من دواغلَ وإحن. [38] ولذلك اختصوا بمصطلحات نذكر منها : المستقبل الذي يشمل عندهم المضارع والأمر عند البصريين والفعل الدائم وهو اسم الفاعل، والخالفة وهي تسمية الفراء لما سماه البصريون اسم الفعل وقد عدّها الفراء قسما رابعا من أقسام الكلمة إلى جانب الاسم والفعل والحرف، أما سائر الكوفيين فلم يجعلوا الخالفة قسما قائما بذاته كما فعل البصريون والفراء بصرف النظر عن اختلاف التسمية عندهما، بل أدخلوها في طائفة الأفعال وعدوها أفعالا حقيقية لأنها تعمل عمل الأفعال ولدلالتها على الحدث والزمان، والمفعول وهو ما سماه البصريون المفعول به، وأشباه المفاعيل وهي ما سماه البصريون المفعول المطلق والمفعول معه، والمفعول لأجله، والمفعول فيه، وضمير العماد وضمير المجهول، وحروف الصلة أو الحشو أو اللغو، والادغام (بالتخفيف)، والتقريب العامل عَمَل كان، والجحد، ولا التبرئة، والنسق. [39]

ويستمر اختلاف التسمية، فعندما يقول البصري " النعت " يقول الكوفي "الصفة"، ويقول البصري "البدل" فيكون المقابل "الترجمة"، و"واو المعية" فيكون المقابل " واو الصرف ". [40] والقائمة طويلة .

وهناك مصطلحات "التعرّي" و "التجرد" و "المضارعة" فقد ذهب الأخفش إلى أن رفع المضارع نتيجةٌ "لتعريه" عن العوامل اللفظية. أما الكسائي الكوفي فقد ذهب إلى أن المضارع مرفوع بحروف المضارعة. وأما تلميذه الفراء فرأى رأي الأخفش مستبدلا بكلمة "تجرد" كلمة "تعرى". وأما ثعلب - وهو آخر أقطاب المدرسة الكوفية - فقد قال إن المضارع مرفوع (بالمضارعة). [41]

وحدثت بعد رحيل الطبقة الأولى من العلماء أمور عقّدت النحو، ومالت به إلى الفلسفة والجدل ومُزج بعلم الكلام ومن ذلك ما يقوله ثعلب عن الفراء، «كان يتفلسف في تصانيفه حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة». [42]

وتجاوز الدارسون حدود علومهم إلى المنطق الأرسطي، فكان له أثر في علم الكلام والفقه، مثلما كان له أبلغ الآثار في دراسة اللغة. [43]

وقد ظهرت عند النحاة المتأخرين وسائل جديدة للحجاج، ومناهج طارئة للجدل أثبتت مدى تأثرهم بالمنطق والفلسفة، فقد مالوا إلى تصحيح مذاهبهم لا عن طريق تدعيمها بالأدلة الكثيرة، بل عن طريق إبطال مذهب المخالفين، ويعمدون إلى افتراض الاعتراضات التي لم يقل بها أحد على مختارهم ثم الإجابة عنها لتدعيم هذا الذي اختاروه، وهذان أسلوبان فلسفيان يمتّان إلى قواعد علم الجدل والحجَاج التي وضعها الفلاسفة وأهل المنطِق للدفاع عن مذاهبهم وإفحام خصومهم في آن واحد.[44]

ونضرب هنا مثالين، يدل الأول منهما على التعصب الأعمى خِدْمةً لمذهب ضيّق، والثاني على عدم الإحاطة بالعربية، وعلى انحطاط المستوى. أما الأول فهو قول الكرخي : كل آيةٍ أو حديثٍ يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤوّل أو منسوخ. [45] والثاني هو ما كتبه بعض الفقهاء المتأخرين: عرّف ابن عرفة الإجارة فقال : «بيع منفعةٍ ما أمكن نقله، غيرِ سفينةٍ ولا حيوان، لا يعقل بعوضٍ غير ناشئ عنها، بعضه يتبعّض بتبعيضها. فاعترض عليه أحد تلاميذه، بأن كلمة بعض تنافى الاختصار، وأنه لا ضرورة لذكرها، فتوقّف الشيخ يومين، ثم أجاب بما لا طائل تحته». [46]

الإلغاء مثل إنْ وأنْ وما ولا ومِنْ والباء، والادِّغام (بالتشديد)، واسم الإشارة "هذا" الذي لا يعمل عملَ كان نحوُ "هذا زيدٌ قائماً"، [35] والنفي ولا النافية للجنس، والظرف، والتمييز، والبدل، والصفة أو الوصف، وحروف الجر، والعطف بالحروف، و واو المعية، والحشو وهو مايقع بعد الإسم الموصول، والتوكيد، والإسم الجامد، وهمزة القطع، وهمزة الوصل، وتاء التأنيث. [36]

وأما الكوفيون - وهم المنافسون لنحاة البصرة - فقد اختصوا بمصطلحات لم يستعملها البصريون. فالفراء - وهو كوفي - استعمل "الفعل الدائم" وهو ما سماه البصريون "اسم الفاعل" و "ما يجرى وما لا يجرى" مقابل "ما ينصرف ومالا ينصرف" و "الخالفة" وهو "اسم الفاعل". [37]

والذي دعا الكوفيين إلى الاجتهاد في شق طريق خاص قد يكون الخوفَ من أن تنماع شخصيتهم في البصريين إن لم يكن لهم نحوٌ خاص، وبينهما ما بينهما من دواغلَ وإحن. [38] ولذلك اختصوا بمصطلحات نذكر منها : المستقبل الذي يشمل عندهم المضارع والأمر عند البصريين والفعل الدائم وهو اسم الفاعل، والخالفة وهي تسمية الفراء لما سماه البصريون اسم الفعل وقد عدّها الفراء قسما رابعا من أقسام الكلمة إلى جانب الاسم والفعل والحرف، أما سائر الكوفيين فلم يجعلوا الخالفة قسما قائما بذاته كما فعل البصريون والفراء بصرف النظر عن اختلاف التسمية عندهما، بل أدخلوها في طائفة الأفعال وعدوها أفعالا حقيقية لأنها تعمل عمل الأفعال ولدلالتها على الحدث والزمان، والمفعول وهو ما سماه البصريون المفعول به، وأشباه المفاعيل وهي ما سماه البصريون المفعول المطلق والمفعول معه، والمفعول لأجله، والمفعول فيه، وضمير العماد وضمير المجهول، وحروف الصلة أو الحشو أو اللغو، والادغام (بالتخفيف)، والتقريب العامل عَمَل كان، والجحد، ولا التبرئة، والنسق. [39]

ويستمر اختلاف التسمية، فعندما يقول البصري " النعت " يقول الكوفي "الصفة"، ويقول البصري "البدل" فيكون المقابل "الترجمة"، و"واو المعية" فيكون المقابل " واو الصرف ". [40] والقائمة طويلة .

وهناك مصطلحات "التعرّي" و "التجرد" و "المضارعة" فقد ذهب الأخفش إلى أن رفع المضارع نتيجةٌ "لتعريه" عن العوامل اللفظية. أما الكسائي الكوفي فقد ذهب إلى أن المضارع مرفوع بحروف المضارعة. وأما تلميذه الفراء فرأى رأي الأخفش مستبدلا بكلمة "تجرد" كلمة "تعرى". وأما ثعلب - وهو آخر أقطاب المدرسة الكوفية - فقد قال إن المضارع مرفوع (بالمضارعة). [41]

وحدثت بعد رحيل الطبقة الأولى من العلماء أمور عقّدت النحو، ومالت به إلى الفلسفة والجدل ومُزج بعلم الكلام ومن ذلك ما يقوله ثعلب عن الفراء، «كان يتفلسف في تصانيفه حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة». [42]

وتجاوز الدارسون حدود علومهم إلى المنطق الأرسطي، فكان له أثر في لم الكلام والفقه، مثلما كان له أبلغ الآثار في دراسة اللغة. [43]

وقد ظهرت عند النحاة المتأخرين وسائل جديدة للحجاج، ومناهج طارئة للجدل أثبتت مدى تأثرهم بالمنطق والفلسفة، فقد مالوا إلى تصحيح مذاهبهم لا عن طريق تدعيمها بالأدلة الكثيرة، بل عن طريق إبطال مذهب المخالفين، ويعمدون إلى افتراض الاعتراضات التي لم يقل بها أحد على مختارهم ثم الإجابة عنها لتدعيم هذا الذي اختاروه، وهذان أسلوبان فلسفيان يمتّان إلى قواعد علم الجدل والحجَاج التي وضعها الفلاسفة وأهل المنطِق للدفاع عن مذاهبهم وإفحام خصومهم في آن واحد. [44]

ونضرب هنا مثالين، يدل الأول منهما على التعصب الأعمى خِدْمةً لمذهب ضيّق، والثاني على عدم الإحاطة بالعربية، وعلى انحطاط المستوى. أما الأول فهو قول الكرخي : كل آيةٍ أو حديثٍ يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤوّل أو منسوخ. [45] والثاني هو ما كتبه بعض الفقهاء المتأخرين: عرّف ابن عرفة الإجارة فقال : «بيع منفعةٍ ما أمكن نقله، غيرِ سفينةٍ ولا حيوان، لا يعقل بعوضٍ غير ناشئ عنها، بعضه يتبعّض بتبعيضها. فاعترض عليه أحد تلاميذه، بأن كلمة بعض تنافى الاختصار، وأنه لا ضرورة لذكرها، فتوقّف الشيخ يومين، ثم أجاب بما لا طائل تحته». [46]

وواصل العلماء - على الرغم مما أصاب العربية من الضعف والتقهقر - بحوثهم في مجال المصطلح - ويقف على رأسهم ابن هشام الذي يُعد رائداً في هذا المجال، حيث حصر الألفاظَ والأدوات بحسب الترتيب الهجائي في مصنفه "مغنى اللبيب". (47)

ومع ذلك فإن هذه الجهود تظل فردية يقوم بها جهابذة، ولكن المسألة أكبر من مبادرة فردية، فالجهود المعجمية التي ظهرت في الماضي وفي فترات متباعدة قد عنيت بالحرف أو الأداة أصلاً وإعراباً واستعمالاً وبالتركيب ضبطاً وإعراباً وشرحاً .

فالعناية بالمصطلح النحوي والصرفي لم يكن كافياً بالشكل الذي يسد فراغ هذا الجانب لدى الدارسين والمدرسين. (48)

ويقول صبحي الصالح «وما يصدق على العربية من تبادل التأثير بين لهجاتها، لابد أن يصدق عليها فيما اضطرت إلى إدخاله في ثروتها من لغات العالم المجاورة لها أو التي كان لها معها ضرب من الاتصال، ولم يكن ما أدخلته من هذه الألفاظ الأجنبية قليلا، لأنها عرّبت معه الكثير قبل الإسلام حتى رأيناه في لغة الشعر الجاهلي وقرأناه في سور القرآن واستخرجناه من بعض الحديث النبوي، ثمّ عرّبت منه الكثير بعد الإسلام فوجدناه أعجميا في زي عربي على ألسنة الأمراء والشعراء، وفي البيوت والأسواق، وبين الخاصة والدهماء». (49)

فاستعمل العرب القياس للسولوجسموس، والخطابة للريطوريقى، والشعر للبيوطيقى. (50)

وليس هناك من عيب في هذا الأخذ أو قبح، بل هو الثراء والنماء، ولكن بعض علماء العرب الأوائل رأوا غير ذلك، فرفضوا كل الأصول الأجنبية لبعض الكلمات العربية، فقالوا في (الفردوس) إنه من (الفردسة) بمعنى السعة. وقالوا مثل ذلك في الاستبرق والسندس وسائر ما ورد في القرآن من الألفاظ الأعجمية المعرّبة التي أذهب القرآن عجمتها باشتماله عليها. (51)

ولو لم تفعل العربية ما فعلته لقضت نحبها، ولأُدخلت المتاحفَ لتبقى شاهدة على فترة من فترات الزمن الماضية شهادة العظام على مخلوقات عاشت في يوم ما. ولكنها - ولله الحمد - وبفضل القرآن كتاب اللّه الخالد، ازدادت ثراء ونماءً وسعةً بما أدخلته من كلمات جديدة وأصوات لا عهد للعرب بها. وهذا اللقاء الحضاري كان لابد منه، ولذلك اعترضت العربَ أصواتٌ فارسية عنهم كالجيم الخالية من التعطيش، والباء المهموسة (P)، والفاء المجهورة (V)، وإذا هم يتناولونها بالتغيير، أو يستبدلون بها صوتا عربيا خالصا : فالجيم الخالية من التعطيش أُبدلت جيما معطشة أو كافا أو قافا، أو قل حرفا مترددا صوتُه بين هذه الثلاثة، مثل (جورب) أصلها (كورب)، والباء المهموسة (P)، أبدلوها فاء أو باء مجهورة، فقالوا : فرند، وبرند، والفاء المجهورة (V) أبدلوها واواً، وأمثلتها كثيرة. (52)

فتنوع معارف العرب، وتداخل المواد والاختصاصات، وتطور المناهج، وكثرة المصطلحات وتنوعها أدى إلى الوقوع في اللبس في استعمال هذه المصطلحات، فقد أدى عدم إدراكهم لنوع العلاقة بين فروع الدراسات اللغوية إلى إطلاق مجموعة من المصطلحات ذات المفهومات الغامضة أو المداخلة بعضِها مع بعض أو المترادفة في معانيها، ومن أشهر هذه المصطلحات : اللغة، متن اللغة، علم اللغة، فقه اللغة، علم العربية، علم الأدب، العلوم اللسانية، علوم اللسان العربي. (53)

وإذا رجعنا إلى العلامة ابن خلدون وجدناه يستعمل المصطلحين "اللغة" و"علم اللغة" بمعنى واحد، وهو ذلك المعنى الذي يشاركهما فيه المصطلح الثالث "متن اللغة" الذي نص أكثرهم على اختصاصه بالبحث في الثروة اللفظية ومشكلاتها. (54)

وهناك لغويون يستعملون بعض هذه المصطلحات استعمالا دقيقاً، ومن هؤلاء السيوطي الذي استعمل مصطلح "لغة" وما تصرف عنه بدقة، ووضعه في الموضع الذي يفيد مقصود الباحث. (55)

ويقول السيوطي مفرقا بين "اللغوي" و "النحوي"، والكلام هذا نقله عن عبد اللطيف البغدادي في شرح الخطب النباتية : اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي، ويقيس عليه، ومثالهما المتحدث والفقيه، فشأن المحدث نقل الحديث برمته، ثم إن الفقيه يتلقاه ويتصرف فيه، ويبسط فيه علله ويقيسُ عليه الأمثال والأشباه. [56]

وقد يأتي مصطلح "لغة" ويُراد منه "لهجة"، وجاء عند ابن جني في الخصائص في باب (في تركيب اللغات) : «اعلم أن هذا موضع قد دعا أقواماً ضعف نظرهم، وخفّت إلى تلقي ظاهر هذه اللغة أفهامُهم، أن جمعوا أشياء على وجه الشذوذ عندهم، وادعوا أنها موضوعة في أصل اللغة على ما سمعوه بأخَرَةٍ من أصحابها[57]...واعلم أن أكثرذلك وعامتَه إنما هو لغات تداخلت فتركبت.[58]

مصطلح (نحو) : عرفه ابن جنى بقوله : هو انتحاء سمْت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطقَ بها وإن لم يكن منهم، وإن شذَّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوتُ نحواً، كقولك : قصدت قصداً، ثم خُص به انتحاء هذا القبيل من العلم.[59]

(الإعراب) : يقول فيه ابن جني : هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعلَ من المفعول، ولو كان الكلامُ شَرْجًا واحدًا لاستيهم أحدهما من صاحبه. [60]

(الاطراد) و(الشذوذ)

(الاطراد) : التتابع والاستمرار. ومن ذلك طردت الطريدة، إذا اتبعتها واستمرّت بين يديك، ومنها مطاردة الفرسان بعضِهم بعضاً، ألا ترى أن هناك كرا وفرا، فكلٌ يطرد صاحبه. ومنه المِطرد : رمح قصير يُطرد به الوحش .

وأما (شذذ) في كلامهم فهو التفرق والتفرد. وشذ الشيء يشُذ شذوذا وشذًّا. وجمع شاذ شُذَّاذ، قال :

كبعضِ مَن مَرَّ مِن الشُّذَّاذِ

هذا أصل هذين الأصلين في اللغة. فجعل أهل علم العرب ما اسْتَمَرَّ من الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصناعة مُطَّرِداً، وجعلوا ما فارق مَا عليه بقيةُ بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شَاذًّا. (61)

(الرواية) و(الرواة) : تدل مادة (روى) على إتيان الماء من قولهم هو ريّان وهي ريّا وهم رواءً، وقد روى من الماء ريًّا وارتوى وتَرَوَّى، وعنده راوية من ماء، وله راوية يستقى عليه وهو بعير السّقَّاء والجمع الرَّوَايا، ورَوَيْتَ على أهلي، ورويتُ لهم ورويْتَهم، استقيْتُ لهم. ومنه قولهم : هو راوية للحديث، وروى الحديث : حمله من قولهم البعير يروى الماء أي يحمله. (62)

والرواية في الأدب بمعناها الاصطلاحي جمع المادة اللغوية من أفواه العرب الفصحاء، بالذهاب إليهم في بواديهم أو بِلَقْيِهِم في الحواضر، ثم نُقِل ذلك للدارسين من الطلاب. وعلى هذا الأساس فإنها لم تبدأ قبل نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني. أما الرواية بشكلها الجاهلي القديم الذي استمر إلى ما بعد الإسلام، المتمثلة برواية الشعر وحفظه ورواية أخبار العرب وأيامهم في (عكاظ) أو في المجالس والندوات، فإنها ليست مما تعنيه الرواية اللغوية اصطلاحا، وإن كانت تمثل الجذور الأولى لنضج الرواية فيما بعد. (63)

(السماع) : نقول سمعته وسمعتُ به، واستمعوه، وتسامعوا به، واستمع إلى حديثه، وألقى إليه سمعَه وملأ مِسمَعَيْه ومسامعَه وسامعتَه. وهو مني بمرأى ومسمع .

وفي الإصطلاح : هو رحلة العلماء لمشافهة الأعراب. (64) ويقول أبو زيد : «وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعي من العرب». (65)

ويقول أيضا: «ما أقول: قالت العرب إلا إذا سمعته من هؤلاء: بكر ابن

هوازن، وبني كلاب، وبني هلال، أو من عالية السافلة، أو من سافلة العالية، وإلا لم أقل : قالت العرب ». (66)

(اللحن) : لَحَن في كلامه إذَا مال به عن الإعراب إلى الخطأ أو صرفه عن موضعه إلى الألغاز. ورجل لحّان ولحّانة. ولَحَّنْتُه : نسبته إلى اللحن. ولحَنْتُ له لحْنًا : قلت له ما يفهمه عني ويخفى على غيره. وعرفت ذلك في لحن كلامه : في فحواه وفيما صرفه إليه من غير إفصاح به قال :

منطق رائعٌ وتلْحَنُ أحيا * نا وأحْلَى الحَديثِ ما كان لَحْنَا

واصطلاحا : هو الخطأ في اللغة، وقد ذكر ابن قتيبة أن بلالاً قال لشبيب بن شَيْبَةَ وهو يَسْتَعْدى على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر : أحْضِرْنيه، قال : قد دَعَوْتُه لِكُلُّ ذلك يَأبى؛ برفع كل؛ قال بلال : فالذئب لكل. (67)

وقد اختلف الدارسون في وقوعه في الجاهلية. وأكبر الظن أنه قد وقع شيء منه، وإن ذهب أكثر الدارسين إلى أنه لا لحن في الجاهلية، لأنهم يعدّون اللحن مما ينافي الفصاحة، ويعملون على توجيه هذا اللحنِ فيسمونه لغةً شاذة أو نادرة. (68)

وشاع اللحن بعد احتكاك العرب بغيرهم، بسبب تداخل لغة العرب مع غيرها. وقد ذكر ابن قتيبة أن الحجاج قال لرجل من العجم نَخَّاسٍ : أتبيعُ الدوَّابَّ المَعِيبَة من جند السلطان ؟ فقال : « شَرِيكاتنا في هَوَازِهَا وشريكاتنا في مداينها وكما تجيء تكون » فقال الحجاج : ما تقول ؟ ففسروا له ذلك، فضحك وكان لا يَضْحَك. (69) وقيل أول لحن سُمع في البادية قولُهم (سقطت عصاتي)، وأول لحن ظهر بالأمصار قولهم (حَيّ على الصلاة)[بكسر الياء من حي].

وقبل أن نخرج من هذه المرحلة نورد قول حامد عبد القادر في كتابه (قصة الأدب الفارسي) :

«إن العربية مع تأثرها بالفارسية في أساليبها فإنها لم تأخذ منها إلا ألفاظا، ولم تأخذ منها عباراتٍ أو جملا، اللهم إلا ما يرد في كتب فقه الحنفية، ويلاحظ أن الكلماتِ الفارسيةَ الدخيلةَ في العربية لها بوجه عام خصائصُ، هي :

1- أنها قليلة القدر بالنسبة للكلمات الأصلية، وأنها دخلت في العربية بعدما تَمَّ للعربية كيانها، ولم تكن محتاجةً للاقتباس من غيرها إلا في ألفاظ نادرة تدل على معانٍ أو أشياءَ مُسْتحدثةٍ لم يكن لها نظائرُ من العربية الأولى .

2- أن جميع ما أخذته العربية من غيرها كان أسماءً، ولم يكن حروفا ولا أفعالا. غير أن العرب بما طُبعوا عليه من مرونة لغوية كثيرا ما كانوا يشتقون من هذه الأسماء الدخيلة أفعالا .

3- أنها أسماء من نوع خاص، كأسماء نبات أو حيوان، أو معادن، أو مأكولات أو مشروبات أو ملابس .

4- أنها كثيرا ما تخضع في أصواتها وموازينها الصرفية لما هو مُتَّبع في العربية. (70)

المصطلح في الوقت الحاضر :

ولا تزال المصطلحات اللغوية تشق طريقها، وهي دائما في تطور ونماء لحل مشكلات اللغة، لأن اللغة تعبر عن الإنسان وحاجاته، والإنسان لا يعرف الإستقرار والثبات. فلا بد من الحفاظ على اللغة لأن بها تحفظ الصلة بين حاضر الأمة وماضيها، وهو ما يؤدي إلى الحفاظ على المستقبل. وما دمنا قد قلنا إن اللغة كائن حي يولد وينمو ويموت، فموت اللغة موت للأمة نفسها. إنّ النسل لا يقف، فالذين كانوا قبل عشرة آلاف سنة لا يزال نسلهم يتوالى إلى اليوم، ولكن وجودهم في أمةٍ راهنة رَهْن ببقاء لغتهم وحضارتهم. بهذا يُفهم بقاءُ الأمم وانقراضُها. (71)

إن التطور السريع للعلوم والتكنولوجيا بالدرجة الأولى وللعلوم الإنسانية بالدرجة الثانية أصبح يستدعي الدقة في استعمال الألفاظ والمصطلحات، وهذا ما يجب أن تقوم به الهيئات والأفراد حتى نصل إلى التعريب، لنُنَمِيَ لغتنا بألفاظ العلوم التي تتكاثر يوما بعد يوم، ويميل العلماء فيها إلى التعبير الفني الدقيق. (72)

نَعم التعبير الدقيق الذي يُفرق بين الألفاظ وإن تشابهت، وهذا ما تفطن إليه الجاحظ منذ وقت مبكر حين أدرك أن العامة من الناس لا يحسنون استعمال الكلمات، فمن ذلك أنهم يستخفون ألفاظا فيقتصرون على استعمالها، من ذلك أنهم يستعملون الجوع مكان السَّغَب، مع أن كلمة جوع لم ترد في القرآن الكريم إلا مع العقاب، وكذلك يفضلون كلمة مطر على كلمة غيث، مع أنّ " الغيث " للنعمة والرحمة، و" المطر " للعذاب والإهلاك. (73)

ونورد هنا مثالا على الدقة قول الثعالبي في تقسيم الجلوس : جَلس الإنسان. بَرَك البعيرُ. ربَضَت الشاة. أقعى السبع. جَثَمَ الطَّائِرَ. حَضَنَت الحمامةُ على بيضِها. (74)

ويقول في تقسيم الرمي : خَذَفه بالحصى. حَذَفه بالعصا. قَذَفَه بالحجر. رَجَمَه بالحجارة. رَشَقَهُ بالنبل. حَثَاهُ بالتّراب. نَضَحَهُ بالماء. (75)

إن الدقة في شرح الكلمات وتتبع أصولها له نتائج جيدة في البحوث العلمية. وهو ما قام به المؤرخ الفرنسي المشهور Fustel de Coulange عندما تتبع تاريخ " الميروفنجيين " فتعمق في دراسة نحو مائة كلمة من الكلمات المطورة في الوثائق التاريخية، وتوصل من دراسته إلى حقائق هامة جدا، غيّرت ما كان يعرف عن تاريخ فرنسا في عهد هذه الأسرة تغييراً كبيراً. (76)

فلكل مؤلف أسلوب خاص في استعمال الكلمات، والتعبير عن الأفكار، فيجب على الباحث أن يدرس لغة المؤلف وأسلوبَه، وأن ينتَبه إلى المعاني الخاصة التي ربما كان يقصدها من تلك الكلمات. (77)

والمثال على ذلك أن "مونتسكيو" استعمل كلمة "Conséquence" في عدة مواضع بمعنى "الأهمية والخطورة" في حين أن الكلمة المذكورة تعني حاليا "النتيجة" ، كما أنه استعمل كملة "Succés" بمعنى "النتيجة" في حين أنها تدل حاليا على "النجاح والتّوْفيق"، واستعمل "industrie" بمعنى "المهارة" . في حين أنها تستعمل الآن بمعنى " الصناعة ". (78)

وخوفاً من اللبس والوقوع في الخطأ وضع علماء الغرب "قواميس لغويةً تاريخيةً" تسجل جميع المعاني التي أخذتها كل كلمة من الكلمات، خلال الأدوار المختلفة من التاريخ، كما أنها اضطرتهم إلى وضع بعض القواميس الخاصة بلغات بعض المؤلفين. (79)

إن الأمم صارت تتسارع إلى تطوير لغاتها وتنميتها بألفاظ جديدة وحمايتها من غيرها، ونضرب أمثلة على ذلك بما يقع بين الفرنسية والإنجليزية. فالإنكليزية - لكونها لغة أكبر دولة في العالم - صارت مرهوبة الجانب، موجودةً في كل مكان، فتغلغل كثير من كلماتها في الاستعمال الفرنسي، ومن ذلك "contnair" الإنجليزية فهي أكثر استعمالا من "conteneur" الفرنسية، و"management" وهو علم وتقنية لإدارة المؤسسة وتسييرها. وكلمة leasing التي عرفها لاروس بما يلي :

Sustème de location financement de matériel industriel, faisant inter-venir une entreprise spécialisée entre le vendeur et l'utilisateur. (80)

و (leader) بمعنى الزعيم أو القائد أو الدليل وscaner وlaser وflash ولم تُغن الترجمة الفرنسية :

1) éclair pour prise de vue photographique .

2) Information importante transmise en priorité (81)

وكذلك Taylorisation وهي كلمة امريكية نسبة إلى المهندس تايلور ومعناها : تنظيم العمل تَبَعا لنظام تايلور .

واشتق منها الفعل Tayloriser ، والمصدر Taylorisme وكلمة listing بمعنى liste، قائمة .

و Transistor، وترجمته الفرنسية غير المستعملة résistance de transfert وكلمة hold - up وهو الهجوم المسلح على بنك أو مركز بريد...

وهذا التفوق اللغوي سببه التفوق التكنولوجي والفكري. ولا أحد ينكر مدى رواج السلع الأمريكية والكتب والأفلام والأغاني وغيرها .

وهذا ما وقع للعربية مع غيرها في عصورها الزاهية فتأثر بها كبار الأدباء في أوربا، ونذكر منهم دانتي الإيطالي الذي عُرف بنهمه الشديد للمعرفة وتعلقه بجمع مصادرها. وقد أجمع كبار المفكرين الأوربيين في عصره مثل "ألبرتوماجنو" و "روجوبيكون" و "رايموندو أوليو" على تفوق الثقافة العربية. (82)

تفوق أقنع المفكرين والعلماء ورجال الدين إلى الأخذ من هذا النبع الصافي، وقد ذكرت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه أن البابا سلفستر الثاني كان يحسب بالأرقام التسعة التي أخذها عن العرب على الحدود الإسبانية. (83)

ويلخص مستشرق آخر تفوق العرب وفضلهم على الغرب بقوله : «إن الحضارة الغربية - ابتداء من الفلسفة والرياضيات والطب والزراعة - مدينة لتلك الحضارة بشيءٍ كثير إلى درجة نعجز معها عن فهم الأولى (الغربية) إذا لم تتمَّ لنا معرفةً ما بالأخرى (الإسلامية أو العربية). (84)

إن اللغة العظيمة هي التي تتعامل مع غيرها أخذاً وعطاءً، ومقدرة اللغة على تمثل الكلام الأجنبي يُعد ميزة وخصيصة لها إذا هي صاغته على أوزانها، وأنزلته على أحكامها، وجعلته جزءاً لا يتجزأ من عناصر التعبير فيها. (85)

وبهذا الأخذ والعطاء يصل الأدب إلى العالمية، وهو الخروج من الحدود القومية، طلبا لكل ماهو جديد مفيد تهضمه اللغة وتتغذى به، واستجابةٌ لضرورة التعاون الفكري والفني بعضها مع بعض، لها أسسها العامة التي تحدد سيرها. (86)

والعربية - حينما تأخذ المصطلحات - لا يعني هذا أنها ضعيفة أو عاجزة، وهذا ما يعتمد عليه الممتنعون عن استخدام اللغة العربية. وهذا الاعتماد فاسد أصلاً، لأنه يخلط بين المصطلح الذي هو وعاء واللغة التي هي أداة تفاهم.

ولو تحدث المتحدث بالعربية ثم حشاها بالمصطلحات الأجنبية كلها لما أخرجه ذلك عن التحدث بالعربية. (87)

والدليل على بطلان هذا الزعم ما حدث في سوريا حيث أن غياب المصطلح - في أول الأمر - لم يكن عائقا أمام المحاولات الناجحة لتعريب التعليم الجامعي في سوريا. (88)

إن احتكاكَ العرب بالغرب واطلاعَهم على معظم ما يرد منه في الوقت الحاضر أدى إلى دخول آلاف من الكلمات في الاستعمال العربي، وهذا أمر لا مفر منه، ولسنا بحاجة إلى دفعه أو نكرانه. فما نحن بحاجة إليه هو الإهتمام بالمصطلح ودراسته دراسة جادة .

وقد توالت جهود العلماء المحدثين في هذا المجال، ونذكر على سبيل المثال المعجم في النحو والصرف لزين العابدين التونسي، ومعجم الشوارد النحوية لرفيق الفاخوري، ومعجم الأدوات النحوية لمحمد التونجي، وقاموس الإعراب لجرجس عيسى الأسمر، ومعجم النحو لعبد الغني الدقر. (89)

واللغات مَثَلُها كَمَثَل الإنسان تنمو وتتغير طباعها، وتتأثر بما يحيط بها، والكلمة لا تستقر على معنى واحد .

إن تطور الدلالة ظاهرة شائعة في كل اللغات يلمسها كل دارس لمراحل نمو اللغة وأطوارها التاريخية. وقد يعده المتشائم بمثابة الداء الذي يندر أن تفر أو تنجو منه الألفاظ، في حين أنّ من يؤمن بحياة اللغة ومسايرتها للزمن ينظر إلى هذا التطور على أنه ظاهرة طبيعية دعت إليها الضرورة الملحة. (90)

وهذا التطور أمر طبيعي تجدد اللغة به نفسها بنفسها. فدارس اللغة الإنكليزية في مراحلها التاريخية يدرك أن كثيرا من الألفاظ قد أصابها تطور وتغيّر في صورتها حينا ودلالتها حينا آخر، فلم يكد يمر عهد "تشوسر" في القرن 14 الميلادي نحو قرنين ونصف من الزمان حتى ظهر شكسبير وشهدنا أدبَه يتضمن من دلالات الألفاظ ما لم يخطر في ذهن من سبقوه. (91)

واللساني مطالب قبل غيره بمواكبة تطور اللغة، فهو أدرى من غيره بها، فهو يتصدر مركز المسؤولية في التخطيط والتطويع والمواكبة المتعلقة بالاصطلاح، فهو لا يُسأل عن مصطلح ميدانه وحسب، ولا عن اصطلاح الميادين المجاورة، بل يُقاسم مسؤولية أي إخصائي في وضع المولد الجديد في حقله، وضبط وسائل توليد اللغة (neology). [92]

ونضرب مثالا على أن صفاء اللغة شيء وهمي متخيل لا سند له من الواقع، وهذا عندما فحص أحد الباحثين من اللغويين المحدثين معجما فرنسيا يشتمل على 4635 كلمة فوجد منها 2028 كلمة فقط من الأصل اللاتيني الذي يُعد المصدر الأصيل للغة الفرنسية، ووجد 925 من اللغة اليونانية و 604 من الألمانية و 96 من الكلتية و 154 من الإنجليزية و285 من الإيطالية و 119 من الإسبانية و 10 من البرتغالية و 146 من العربية و 36 من العبرية و 4 من الهنغارية و 25 من السلافية و 34 من التركية و 6 من لغات افريقية و 99 من اللغات الآسيوية و 62 من اللغات الأمريكية الهندية و 2 من اللغات البولينيزية. [93]

وإذا حدث هذا بالنسبة للغة عريقة كالفرنسية، فلا تهمنا نحن العربَ الذين عانينا من التخلف والتقهقر والبطء في الإنجاز الفنيّ والعلمي، أن نلجأ إلى المصطلح الأجنبي الذي دخل حياتنا بقوة وسرعةٍ لم نجد معها الوقت للتساءل أو النقاش، لأننا نعيش الآن وضعاً معرفياً جديداً صاحبه وفرةٌ وتضخمٌ في أعداد المصطلحات التي استُحدثت في اللغات الغربية بهدف التعبير عن مفاهيمَ مستجدةٍ جديدة. [94]

هذا التطور السريع سرعة الطائرات النفاثة والاتصالات السلكية واللاسلكية صاحبه تطور عربي بطيءٌ بطءَ قافلة الجمال. فلم يُوفَّقْ اللغويون العرب في تلافي حدوث تراكم في المصطلحات التي يتعيّن نقلها من اللغات الأخرى (وعلى الأخص من الإنجليزية). [95]

والأوربيون أنفسهم لم يسلموا من الفوضى التي سبّبها كثرة المصطلحات وتنوعُها ولعلّ من أوضح الأمثلة في اللغة الإنجليزية حتى بالنسبة للمصطلحات الكثيرة التردد مصطلحي (Phonetics) و(Phonology)، فعلى الرغم من كثرة ترددهما في علم اللغة الإنجليزي فإننا نجد لهما عدداً من التفسيرات التي توقع الباحث في حيرة وارتباك. فمنهم من أطلق الفوناتكس على الفرع التاريخي من علم الأصوات، والفونولوجي على دراسة العملية الميكانيكية للنطق. ومنهم من عكس المصطلحين فاستعمل أحدهما مكان الآخر. ومنهم من عدّهما مترادفين وعالج موضوعات الأصوات تحت أيهما دون تحرج. وقد كانت هذه الفوضى سبباً في ظهور مصطلح جديد يحل محل المصطلح (فونولوجي) هو (Phonemics) ومنهم من استخدم (Phonematics). [96]

ومصطلح (فقه اللغة) على قدمه لم يسلم من هذا الاضطراب. فعلى الرغم من اتفاق الباحثين على أنه يقابل (Philology)، فإن المستشرقين اختلفوا في حدّه، فمنهم من ذهب إلى أن فيلولوجي هو علم اللغة وأنه يشمل ما يشمل فقه اللغة من موضوعات، ومنهم من أراد به دراسة لغة من لغات معينة من حيث قواعدها وتاريخ أدبها ونقدِ نصوصها، ولعل هذا أقربُ المذاهب إلى دلالة المصطلح لدى العرب، ومنهم من وسَّع إطلاقَه فشمِل دراسة الحياة العقلية وثمارَها العلمية في أمة ما أو في مجموعة أمم، وهو بهذا الإطلاق يقترب من علم التاريخ ومناهجِه. [97]

والمستشرقون - على الرغم من كثرة ما حققوه من تراث العرب، وما ألّفوه، وقرأوه - وقعوا في لَبْس لأن كثيرا منهم لم يتمكنوا من التعمق في العربية، ولذلك لم يُوفَقوا في اختيار (فيلولوجي) مقابلا لـ (فقه اللغة)، فلكل منهما ميادينه العلمية الخاصة. [98]

وعليه، فلا مانع من أن يقابل (فقه اللغة) مصطلح (linguistics علم اللغة) وقد أجرى المستشرق لومل (Lommel) موازنة بين مصطلحي (علم اللغة) و(فيلولوجي) فقال : « إن علم اللغة من أهم الوسائل المساعدة للدراسات

الفيلولوجية من جانب، ومن جانب آخر فإنه لعم قائم بذاته له وظيفة معينة وطرق وميادين معروفة، ولا يستغني علم اللغة عن الفيلولوجيا، لأن أهم مصادره هي النصوصُ اللغوية، والعلاقة وثيقة بين العلمين، إلى درجة أن الاستعمال الشائع للكلمتين، لا يكاد يُفرق بينهما ».[99]

وبمرور الوقت بدأت الدراسات اللغوية تتخصص أكثر فأكثر. ويعد دي سوسير الإنطلاقة الحقيقية في هذا الميدان بكتابه "دروس في اللسانيات العامة" "Cours de linguistique générale" عام 1916، وميّز فيه ثلاثة مصطلحات هي : la langue - le language - la parole .

المصطلح الأولى parole : يعني كلام الفرد، أو المنطوقات الفعلية نفسها. [100] لأن الكلام نتاج فردي.

أما الثاني le language : فيعني مجموع الكلام الفردي la parole والقواعد العامة للغة الإنسانية. [101]

والمصطلح الثالث langue : أي اللغة فهو عبارة عن نظام من المواضعات والإشارات التي يشترك فيها جميع أفراد مجتمع لغوي معيّن، وتتيح لهم من ثمة الاتصال اللغوي فيما بينهم. [102]

وهناك مصطلحات أخرى ذكرها دي سوسير من بينها الصورة الصوتية أو السمعية image acoustique، والمتصور الذهني concept، والرموز اللغوية symboles linguistiques [103] وفي 1958 ظهرت نظرية جديدة في أمريكا في علم اللغة الوصفي تدعى نظرية (القوالب) أو (النظرية التجميمية)، أسسها (بايك) Pike تلميذ " سابير ". [104] وأضافت مصطلحا جديدا هو (القالب) أو (Tagmeme). [105]

واعتمد تشومسكي على دي سوسير في بحثه، فالنحو عنده يشمل ثلاثة فروع هي : الفونولوجيا، والنظم والدلالة. واستعمل مصطلح (الكفاءة) compétence مقابلا لـ(اللسان)، و(الأداء)performance مقابلا للكلام(Parole).

أما (الكفاءة) فيقصد بها المعرفة الضمنية باللغة، على حين أن الأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معيّن. (106)

وظهر مصطلحان جديدان هما (توليدي) و(تحويلي)، ويقف على رأس المدرسة التوليدية التحويلية هاريس Harris وتلميذُه تشومسكي. وقد كان لهما أكبر الأثر في نشوء علم اللغة التوليدي التحويلي. أما التوليدي فهو علم يرى أن في وسع أيةِ لغةٍ أن تُنتج ذلك العدد اللانهائي من الجمل التي ترِد بالفعل في اللغة. وأما التحويلي فهو العلم الذي يدرس العلاقات القائمة بين مختلف عناصر الجملة، وكذلك العلاقات بين الجمل الممكنة في لغة ما. (107)

وهذا التطور السريع في ميدان اللغة ومصطلحاتها جاء نتيجةً لجهود كبار العلماء، ونذكر منهم بلومفيلد Leonard Bloomfield الذي أسهم في تطوير المدرسة اللغوية البنيوية، وتوضيح قوانينها، ووضع مناهجها الأساسية. وقد أثر كتابُه "اللغة" language الذي نُشر سنة 1933 على معظم الدراسات اللغوية في العقود الثلاثة التالية لصدوره. (108)

ولنصل - نحن العرب - إلى هذا المستوى العالمي المتميز بالجودة والدقة والنظرة الشاملة التي تلتقي فيها اللغة بكل العلوم والفنون الأخرى، يجب علينا معرفة لغتنا معرفةً جيدة نتمكن بها من الغوص في التراث واستنباط القواعد، ومعرفة اللغات الأجنبية الأخرى. وإذا لم يحدث هذا فإنّ الضعف اللغوي والعلمي والفني سيبقى أبداً مصاحباً للفكر العربي، وستظل الغشاوة أبدا على أبصار الطلبة والباحثين، وسيكون هناك استعمال غير دقيق للغة، تتأثر به ميادين العلوم والفنون الأخرى. وسأوردُ هنا نماذج من هذا الاستعمال غير الصحيح سبَبُه الترجمة الحرفية :

- استعمال الفعل (عاد) في غير محله كقولهم لم يعد قَادِراً، وهو مترجم عن الفرنسية Il n'est plus capable .

- ابتسامة هادئة ، ترجمة عن الفرنسية Sourire calme .
وعن الإنجليزية Calme smile .

- هذه القضية مطروحة على بساط البحث
-Cette cause est mise sur le tapis

- ذر الرماد في العيون
-Il jette de la poudre aux yeux
To throw dust in the eye

- لقتل الوقت
-Pour tuer le temps
To kill the time

- هو يلعب دوره
-Il joue son rôle
He plays his parts

- أعطى وعدا
-Il a donné rendez-vous
To give a promise

- أعطى صوته
-Il a donné sa voix
To give one's vote to

- لعب ورقته الأخيرة [109]
-Il a joué sa dernière carte
he played his last card

من أجل ذلك إنّ التعمق في اللغتين : اللغة المنقول منها، واللغة المنقول إليها واجبٌ على الباحث، ولاسيما في هذا العصر عصر العلوم والفنون والدقة والضبط، وللّسانياتِ الدورُ الأكبرُ في هذا الإنجاز الضّخم. إننا نعيش ابتداء من الخمسينيات وخصوصا بعد الستينياتِ وضعا معرفيا تؤدي فيه اللسانيات دوراً أولاً، إذْ هي مُؤَثِرة ومتأثرة في جل حقول المعارف الإنسانية، وحتى في القطاعات العلمية الدقيقة (من بيولوجيا وإعلاميات ورياضيات...إلخ). [110]

إن المعاجم الغربية تتسع يوما بعد يوم بالمصطلحات اللسانية الحديثة، وهذا مالا نجده في المعاجم العربية البطيئة في سيرها، بحيث نَلْحَظ غياب اصطلاحات كثير من المدارس اللسانية الحديثة العهد، وعلى سبيل المثال غياب لألفاظ المدرسة التوليدية (Generative Grammar)، وخصوصا في التركيب والصرف والدلالة، وغياب مصطلح النحو العلاقي (Relational Grammar) والنحو الوظيفي المعجمي (Lexical Functional Grammar) ونظرية الربط العاملي (Government Binding theory) ... إلخ. ونلحظ كذلك عدم اهتمام عام بمصطلحات الدلالة والصرف والذريعيات (Pragmatics) وكثيرا من ألفاظ التركيب (Syntax) ... إلخ. [111]

خـاتمـــة:

لا أزعم أنني أحطت بالموضوع إحاطة شاملة، فذلك مالا يدعيه عاقل، ولكنني أمل أن أكون قد وضّحت جزءا صغيرا لعله يفيد الطلبة والباحثين الناشئين. وأما أساتذتي المتخصصون فأقدم إليهم اعتذاري عن كل نقص شاعرا بعجزي وتقصيري. ولقد سمحتُ لنفسي بأن أتعلم السباحة في بحور علومهم، وأتدربَ على الفروسية على صهواتِ خيولهم المُطهَّمة، وأتَفَنَّنُ في الرّماية بسهامهم التي لا تطيش.

الهوامش

1- مع المصادر في اللغة والأدب، د/ إبراهيم السامرائي، ص 55.
2 - الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، فانيا مبادى عبد الرحيم: مقدمة.
3 - الأدب المقارن، د/ غنيمي هلال: 10ـ11.
4 - نفسه: 110.
5 - دراسات في فقة اللغة، د/ صبحي الصالح: 314ـ315.
6 - تاريخ الأدب العربي، د/ عمر فروخ 37/1ـ38.
7 - دراسات في فقه اللغة: 316.
8 - الشعر والشعراء لابن قتيبة 179/1.
9 - نفسه: 180/1.
10 - نفسه: 181/1.
11 - نفسه: 370/1.
12 - نفسه: 370/1.
13 - نفسه: 371/1.
14 - الجامع لأحكام القرآن نقلا عن الدراسات اللغوية عند العرب محمد حسين آل ياسين: 147.
15 - سورة المعارج ـ الآية: 27.
16 - الدراسات اللغوية عند العرب 148.
17 - عيون الأخبار، ابن قتيبة 160/2.
18 - الدراسات اللغوية عند العرب 66.
19 - دراسات في فقه اللغة 113.
20 - دراسات في فقه اللغة 292.
21 - التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي 56.
22 - دراسات في فقه اللغة 316.
23 - دراسات في فقه اللغة 59.
24 - تكملة المعاجم العربية، دوزي ترجمة محمد سليم النعيمي 13/1.
25 - تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ 40/2ـ41.
26 - نفسه: 41/2.
27 - بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة 202.
28 - نفسه: 202.

29- نفسه: 203.
30- نفسه: 204.
31- الكتاب: سيبويه 37/1.
32- بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة 206.
33- الكتاب 75/1.
34- بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة 206.
35- أعرب الكوفيون هذا تقريبا وزيد اسمه مرفوع وقائما خبره منصوب على عدّها من أخوات كان، بينما أعرب البصريون قائما حالا وجعلوا ما قبلها مبتدأ وخبرا.
36- بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة 210.
37- نفسه: 207ـ208.
38- خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي، د/ عفيف دمشقية 109.
39- بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة 109.
40- خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي 110ـ111.
41- نفسه: 118ـ119.
42- الدراسات اللغوية عند العرب 388.
43- دراسات في فقه اللغة 29.
44- بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة 221ـ222.
45- فقه السنة، السيد سابق 13/1.
46- نفسه: 14/1.
47- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د/ محمد سمير نجيب اللبدي 5.
48- معجم المصطلحات النحوية والصرفية 6.
49- دراسات في فقه اللغة 315.
50- نفسه: 272.
51- نفسه: 318.
52- دراسات في فقه اللغة 319.
53- دراسات في علم اللغة، كمال بشر 36.
54- دراسات في علم اللغة، كما بشر 39.
55- نفسه: 41.
56- المزهر، السيوطي 59/1.
57- الخصائص 374/1.

58 - نفسه: 375/1.

59 - الخصائص 34/1.

60 - نفسه: 35/1.

61 - نفسه: 96/1-97.

62 - أساس البلاغة للزمخشري، مادة (روى).

63 - الدراسات اللغوية عند العرب 65.

64 - نفسه: 67.

65 - نفسه: 67.

66 - الدراسات اللغوية عند العرب 67 والكلام منقول عن اقتراح السيوطي 83.

67 - عيون الأخبار 159/2.

68 - الدراسات اللغوية عند العرب 34.

69 - عيون الأخبار 160/2.

70 - الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب صالح آدم بيلو 44-45.

71 - تاريخ الأدب العربي فروخ 27/3.

72 - دراسات في فقه اللغة 321.

73 - البيان والتبيين 20/1، تاريخ الأدب العربي فروخ 34/1.

74 - فقه اللغة للثعالبي 193.

75 - نفسه: 198.

76 - دراسات في مقدمة ابن خلدون، ساطع الحصرى 145.

77 - نفسه: 144.

78 - نفسه: 144.

79 - نفسه: 144-145.

80-Petit Larousse illustré

81-Ibid (laser).

82 - تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية، د/ صلاح فضل، دار المعارف ط 1 1980، ص 52.

83 - شمس العرب تسطع على الغرب 81.

84 - الإسلام والعرب روم لاندو 9.

85 - دراسات في فقه اللغة 314.

86 - الأدب المقارن 105.

87- دراسات لغوية، حسين نصار 23.

88- المصطلحات الألسنية في اللغة العربية، أحمد مختار عمر 245.

89- معجم المصطلحات النحوية والصرفية 5.

90- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس 123.

91- نفسه: 122.

92- اللسانيات واللغة العربية، عبد القادرالفاسي الفهري 392.

93- دلالة الألفاظ أنيس: 151.

94- اللسانيات واللغة العربية 391.

95- نفسه: 391.

96- المصطلحات الألسنية في اللغة العربية، أحمد مختار عمر 246.

97- الدراسات اللغوية عند العرب 431.

98- نفسه: 432.

99- فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب 10.

100- أصول النظرية التوليدية التحويلية، والنحو العربي ص 3، والكلام هنا منقول عن المدخل إلى علم اللغة رمضان عبد التواب 184.

101- النحو العربي والدرس الحديث عبده الراجحي نقلا عن المرجع السابق 3.

102- أصول النظرية التوليدية 3 نقلا عن المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب 184.

103-أصول النظرية التوليدية التحويلية والنحو العربي،محمد بوعمامة3،4.

104- نفسه: 7.

105- نفسه: 7.

106- أصول النظرية التوليدية التحويلية 10 نقلا عن المدخل إلى علم اللغة 191، والألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية ميشال زكريا 7.

107- المدخل إلى علم اللغة رمضان عبد التواب 188.

108- نفسه: 185.

109- مع المصادر في اللغة والأدب، إبراهيم السامرائي 233-234-235.

110- اللسانيات واللغة العربية 391.

111- اللسانيات واللغة العربية 393-394.

المصادر والمراجع

1- الأدب المقارن - د/ محمد غنيمي هلال -، دار الثقافة - دار العودة، ط 5 .

2 - أساس البلاغة - للزمخشري -، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت 1979 .

3 - الإسلام والعرب - روم لاندو -، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3 - 1977 .

4 - أصول النظرية التوليدية التحويلية والنحو العربي، رسالة ماجستير -لمحمد بوعمامة -، جامعة عين شمس 1989 .

5 - البيان والتبيين - للجاحظ - .

6 - بين النحو والمنطق وعلوم السريعة - د/ عبد الكريم الأسعد -، دار العلوم للطباعة والنشر .

7 - تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية - د/ صلاح فضل -، دار المعارف بمصر، ط 1 - 1980 .

8 - تاريخ الأدب العربي - د/ عمر فروخ -، دار العلم للملايين، ط 5 - 1984 .

9 - التطور اللغوي التاريخي - د/ إبراهيم السامرائي - ، دار الأندلس، ط 2 - 1981.

10 - تكملة المعاجم العربية - دوزي -، ترجمة د/ محمد سليم النعيمي .

11 - الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب - صالح آدم بيلو -، مكة المكرمة، ط 1 - 1988 .

12 - خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي - د/ عفيف دمشقية -، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1 - 1980 .

13 - الخصائص - لابن جنى -، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.

14 - الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها - فاينا مبادي عبد الرحيم -، جامعة أم القرى، مكة المكرمة .

15 - دراسات في فقه اللغة-صبحي الصالح-،دار العلم للملايين،بيروت، ط 10-1983.

16 - دراسات لغوية-حسين نصار -، دار الرائد العربي، بيروت، ط 2 - 1986.

17 - الدراسات اللغوية عند العرب - محمد حسين آل ياسين -، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 1 - 1980 .

18 - دراسات في مقدمة ابن خلدون - ساطع الحصري - ،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3-1967 .

19 - دراسات في علم اللغة - كمال بشر -، دار المعارف بمصر، ط 9 - 1986 .
20 - دلالة الألفاظ - إبراهيم أنيس -، مكتبة الإنجلو مصرية، ط 2 - 1972 .
21 - الشعر والشعراء - ابن قتيبة -، دار الثقافة، بيروت .
22 - شمس العرب تسطع على الغرب - زيغريد هونكة -، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 7 - 1982 .
23 - عيون الأخبار - ابن قتيبة -، دار الكتاب العربي .
24 - فصول في فقه العربية - د/ رمضان عبد التواب - .
25 - فقه السنة - السيد سابق - .
26 - فقه اللغة - للثعالبي -، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس 1981 .
27 - الكتاب سيبويه .
28 - اللسانيات واللغة العربية - الفاسي الفهري -، منشورات عويدات، بيروت - باريس 1985 .
29 - اللسانيات واللغة العربية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ندوة ديسمبر 1978 .
30 - المدخل إلى علم اللغة - د/ رمضان عبد التواب -، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 2 - 1985 .
31 - المزهر - للسيوطي -، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت 1986 .
32 - المصطلحات الألسنية في اللغة العربية - د/ أحمد مختار عمر -، ندوة تونس 1978 .
33 - معجم المصطلحات النحوية والصرفية - محمد سمير اللبدي -، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، ط 1 - 1985 .
34 - مع المصادر في اللغة والأدب - إبراهيم السامرائي -، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط 2 - 1983 .
35 - التطور اللغوي التاريخي - إبراهيم السامرائي -، دار الأندلس، ط 2 - 1981 .

المراجع الأجنبية

1-Petit larousse illustré, Librairie Larousse 1975.